الدرس: ٧٥

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: الظهور

التاريخ: السبت ٤ شوال المكرم ١٤٤٥ ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية الظواهر

كان الكلام فى حجية الظواهر. وصلنا الى البحث عن حجية ظواهر الكتاب حيث نسب الى الاخباريين القول بعدم حجيتها، فذكر الامين الاسترآبادى فى الفوائد المدنية أن الصواب عندى مذهب قدمائنا الاخباريين من أن القرآن فى الاكثر ورد على وجه التعمية، يعنى ورد على

وجه الاخفاء بمقاصده، و لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الاحكام الشرعية النظرية الا السماع عن الصادقين عليهم السلام، و لا يجوز استنباط الاحكام النظرية من ظواهر الكتاب، بل و لا من ظواهر السنة النبوية ما لم يعلم احوالهما من جهة اهل البيت عليهم السلام.

صاحب الحدائق قال: الاخباريون ما بين افراط و تفريط، فبعضهم منع فهم شيء من القرآن مطلقا حتى مثل قوله تعالى "قل هو الله أحد" الا بتفسير من الائمة عليهم السلام، و منهم من جوّز ذلک حتى كاد يدّعى المشاركة لأهل البيت عليهم السلام فى تأويل مشكلاته و حل مبهماته.

ثم قال ما محصله: عدم حجية ظواهر الكتاب أى كل آية يحتمل فيها معنى آخر غير ما هو المترآى من ظواهرها فلا يمكن العمل بتلک الآية الا بعد ورود تفسيرها من الائمة عليهم السلام. نعم لو كان هناک نص عرفى لا يحتمل فيه معنى آخر فلا حاجة فيه الاعتماد على ذلک النص العرفى الى ورود تفسير له من الائمة عليهم السلام. و هذا يعنى أنه انكر حجية الظهور، فإن الظهور يعنى ما يحتمل فى الكلام معنى آخر غير ما هو المعنى الظاهر.

هذا الذى نسب الى الاخباريين قد يرجع الى منع الصغرى أى عدم انعقاد الظهور فى القرآن الكريم، و قد يرجع الى منع الكبرى و هو أنه لا حجية لظهور القرآن الكريم.

أما ما يرجع الى منع الصغرى؛ فهو ما يقال: من أن القرآن الفاظه من قبيل الرموز، كلمات القرآن رموز الى معانى القرآن، فإنک حينما تسمع "كهيعص" لا تفهم منه شيئا، و حينما تسمع هذه الآية "انا عرضنا الامانة على السموات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا" فكأنه رمز الى معنى، و من الواضح أنه لا يعرف الرمز الا اهل البيت عليهم السلام.

و الوجه الثانى: ما يقال من أن معانى القرآن معانى عالية بعيدة عن ذهن البشر. بينما أن الوجه الاول كان تركيزه على أن كلمات القرآن رموز. اما الوجه الثانى تركيزه على معانى القرآن. معانى القرآن معانى عالية بعيدة عن ذهن البشر. و لأجل ذلک البشر العادى لا يصل الى معانى القرآن الا بتفسير اهل البيت عليهم السلام.

هذا الوجهان قد يستفادان من بعض الروايات:

ففی روایة زید الشحام قال: دخل قتادة علی ابی جعفر علیه السلام، فقال یا قتادة انت فقیه اهل البصرة؟ فقال هکذا یزعمون، فقال ابوجعفر علیه السلام: بلغنی أنک تفسر القرآن؟ فقال ابوقتادة نعم، فقال ابوجعفر علیه السلام: ویحک یا قتادة إنما یعرف القرآن من خوطب به.

و روی الصدوق فی علل الشرایع: أن اباحنیفة دخل علی الامام الصادق علیه السلام، فقال له الامام علیه السلام أنت فقیه اهل العراق؟ قال نعم. فقال علیه السلام فبم تفتیهم؟ قال بکتاب الله و سنة نبیه، قال یا اباحنیفة! تعرف کتاب الله حق معرفته؟ أتعرف الناسخ و المنسوخ؟ قال نعم، قال یا اباحنیفة لقد ادّعیت علما، ویلک ما جعل الله ذلک الا عند اهل الکتاب الذین انزل علیهم، ویلک و لا هو الا عند الخاص من ذریة نبینا ما ورّثک الله من کتابه حرفا، فإن کنت کما تقول و لست کما تقول فأخبرنی عن قول الله عزوجل "سیروا فیها لیالی و ایاما آمنین"، أین ذلک من الارض؟ فقال أحسبه ما بین مکة و مدینة، فالتفت ابوعبدالله علیه السلام الی اصحابه: تعلمون أن الناس یقطع علیهم بین المدینة و مکة و تؤخذ اموالهم و لا یؤمنون علی انفسهم و یقتلون، قالوا نعم. فسکت ابوحنیفة. ثم قال له الامام یا اباحنیفة! أخبرنی عن قول الله عزوجل "و من دخله کان آمنا" أین ذلک من الارض؟ قال الکعبة. قال أ

فتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير فى الكعبة فقتله كان ابن الزبير آمنا فيها؟ فسكت ابوحنيفة.

الجواب عن هذين الوجهين: أنه لا يستفاد من هذه الروايات اكثر من النهى عن الاستقلالية فى فهم معانى القرآن من دون الرجوع الى تفسير اهل البيت عليهم السلام. و الا فلا يناسب أن يكون القرآن مجملا إما لأجل الكلمات فيها رموزا أو كون معانى تلك الكلمات معانى بعيدة عن فهم البشر، لا يناسب ذلک ما ورد فى القرآن الكريم "هذا بيان للناس". كيف يكون بيانا للناس و الناس لا يفهمون منه شيئا؟

واشتمال القرآن على معانى عالية لا ينافى وجود ظهورات فى القرآن الكريم بالنسبة الى معانى قريبة الى ذهن البشر. ليست كل المعانى بعيدة عن ذهن البشر. نعم! بعض الآيات تشتمل على معانى لا تصل اليها اذهان البشر، و لكن ليس القرآن من هذا القبيل. "حرّم عليكم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون"، "لا تقربوا الزنا"، "إنما الخمر رجس فاجتنبوه"، "كتب عليكم الصيام"، "فكلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر"، هل هذه الآيات رموز؟ أو أن معانيها لا تخطر بذهن البشر؟ هذا خلاف الوجدان.

الوجه الثالث: ما يقال من أنه بعد ما وقع التحريف فى القرآن الكريم فنحن دائما نحتمل أنه لو وصلت الينا الآية القرآنية بكاملها لتغير معناها عما نفهمها اليوم من القرآن الكريم. فلا نحرز وصول القرآن بكامله الينا. فى كل آية نحتمل وقوع تحريف أو تصحيف. فيكون نظير ما لو ارسل المولى رسالة الى عبده فانمحت بعض خطوط الورقة، و احتمل العبد اشتمال هذه الورقة على قرينة صارفة عن ظهور ما هو الواصل فى تلك الورقة بحيث لو وصل الى المكلف تلك الورقة بكاملها تغير الظهور، فإن من الواضح أنه يمنع عن اعتماد العبد على تلك الورقة بمقدار ما وصلت.

صاحب الكفاية قال: دعوى العلم بوقوع التحريف فى القرآن الكريم باسقاط أى بنقيصة أو تصحيف غير بعيدة، كما يشهد به بعض الأخبار و يساعده الاعتبار.

اما الاخبار فقد جمعها المحدث النورى فى كتاب «فصل الخطاب فى القول بتحريف الكتاب»، و هى روايات كثيرة.

و اما أنه يساعده الاعتبار، لأجل أنهم يقولون بأن القرآن جمع فى زمان عثمان بطريقة غير مقبولة لدى خواص الصحابة و قد قدّم اليهم اميرالمؤمنين المصحف الذى جمعه فلم يقبلوا منه.

هذا بحث مهم، قول صاحب الكفاية من أنه ليس من البعيد وقوع التحريف فى الكتاب الكريم. لكنه يحاول أن يدعى أن هذا العلم الاجمالى بوقوع التحريف فى القرآن الكريم لا يمنع من العمل بالظهور الواصل لما فى المصحف الموجود اليوم، و سيأتى تقريب كلامه.

لكن انصافا هذه الدعوى دعوى عظيمة، و لا يختص هذا الادعا بصاحب الكفاية. نسب القول بالتحريف الى على بن ابراهيم القمى، لأنه أورد فى كتاب التفسير الذى يسمى بتفسير القمى روايات كثيرة تدل على وقوع التحريف فى القرآن الكريم، و هكذا الكلينى فى الكافى. و الشيخ المفيد فى كتاب «المسائل السروية» التزم بوقوع التحريف فى القرآن الكريم بالنقيصة، و إن اختار فى كتاب «اوائل المقالات» عدم التحريف و نسب القول بالتحريف الى جماعة من متكلمى الامامية كبنى النوبخت. و من الغريب أن المحدث النورى استقل هذا الكلام من الشيخ المفيد و نسب القول بالتحريف الى الحسين بن روح النوبختى النائب الثالث للامام الحجة عليه السلام، مع

أنه لم يذكر الا أن جماعة من متكلمى الامامية و اهل الفقه كبنى النوبخت ذهبوا الى القول بالتحريف. علماء بنى النوبخت عنوان مشير الى جماعة منهم لا الى كل من كان من بنى النوبخت كالحسين بن روح النوبختى. مثل ما يقال فى الفقه فى حد الكر، أن حد الكر كذا على مذهب القميين. ليست صحيفة واحدة يجمع كل من عاش فى قم وكان له مكانة اجتماعية يقول هؤلاء مذهبهم ذلک! لا، القميون فى الفقه عنوان مشير الى ابن بابويه والد الصدوق و نفس الصدوق و بعض قليلين كابن الوليد و نحوهم. و هنا أيضا حينما يقول ذهب بنو النوبخت الى القول بالتحريف يشير الى جماعة معينين من علماء النوبخت، لا يشير الى النائب الخاص للامام الحجة عليه السلام.

و ممن ذهب الى القول بالتحريف صاحب الحدائق.

المحقق الآشتيانى فى حاشية الرسائل نقل عن الشيخ الانصارى أنه كان يميل الى القول بالتحريف بالنقيصة فى غير الاحكام الشرعية فى القرآن الكريم. يميل الى القول بذلک بعض الميل.

و السيد اليزدى صاحب العروة فى حاشية الرسائل نقل عن المحقق القمى صاحب القوانين أنه لو جمعت روايات التحريف بالنقيصة كثر

حجمها. ثم قوّى صاحب العروة فى حاشية الرسائل القول بالتحريف بالنقيصة.

توجد رسالة فارسية للمحدث النورى فى مكتبة المجلس بطهران، يذكر فيها المحدث النورى أن الاستاذ –يعنى ميرزا محمد حسن الشيرازى قده- وصلت اليه رسالة فى ردّ كتاب فصل الخطاب فى القول بتحريف الكتاب اورد فيها شبهات على ذلک الكتاب، يقول طلب منى الاستاذ أن اجيب عن تلک الشبهات كى لا يغترّ بها العوام و ان كانت هذه الشبهات واهية. كأن المحدث النورى يدّعى أن استاذه ميرزا الشيرازى كان موافقا له فى القول بتحريف الكتاب.

لكن ذهب جمع كثير من كبار علماء الشيعة الى القول بعدم التحريف. الصدوق فى كتاب اعتقادات الامامية يقول: اعتقادنا أن القرآن الذى انزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين ليس بأكثر ذلک.

الشيخ الطوسى فى التبيان يقول: الزيادة مجمع على بطلانها و النقصان الظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا و هو الذى نصره المرتضى فهو الظاهر من الروايات، غير أنه

رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة و العامة بنقصان كثير من آيات القرآن و الاولى الاعراض عنها و ترک التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها.

خب انتم اعرضتم عن تلک الروايات، لكن المحدث النورى جمع كل تلک الروايات، مئات، هل لنا طريق غير أن نجيب عن تلک الروايات؟

هذا الذى يقول السيد الخوئى من أن حديث تحريف قرآن حديث خرافة و خيال لا يقول به الا من ضعف عقله أو من لم يتأمل فى اطرافه حق التأمل أو من ألجئه اليه حب القول به و الحب يعمى و يصم و أما العاقل المنصف المتدبر فلا يشک فى بطلانه و خرافته، هذا الكلام للسيد الخوئى الذى ذكره فى البيان خش كلام، لكن ليس مقنعا لكل أحد بعد ما يشاهد تلک الروايات الكثيرة و هكذا يسمع أن جمعا من كبارية العلماء كانوا يميلون الى القول بالتحريف بالنقيصة.

المهم أن المشهور بين الاصحاب كما اعترف به صاحب الحدائق القول بعدم التحريف. يقول صاحب الحدائق: اختلف اصحابنا فى وقوع النقصان و التغيير و التبديل فى القرآن، فالمشهور بين اصحابنا هو العدم، و ذهب جمع الى وقوع ذلک و به (بالتحريف بالنقيصة) جزم على بن ابراهيم القمى فى تفسيره و هو ظاهر تلميذه الكينى فى الكافى و

هو ظاهر صاحب كتاب الاحتجاج، ثم يقول هو الظاهر عندى. مى خالف، لكن يعترف بأن المشهور بين الاصحاب هو القول بعدم التحريف.

قبل أن اتكلم حول تلک الروايات التى استدل بها على وقوع التحريف فى القرآن الكريم انطلق الى شىء، و هو: أن هذا المفسر البغدادى أى الآلوسى يقول: علماء الشيعة قائلون بالتحريف، و ما ذكره صاحب مجمع البيان من أن جمعا من الخاصة و حشوية[1] العامة ذهبوا الى القول بالتحريف غير صحيح، فإنه لم يذهب عالم من علماء العامة الى القول بالتحريف، و صاحب المجمع بصدد تبرئة علماء مذهبه، فإنهم قائلون بالتحريف. شنو هذه الخباثة!.

اولا: المشهور بين الشيعة القول بعدم التحريف.

و ثانيا: شنو هذا الكلام من أنه لم يذهب عالم من علماء العامة الى القول بالتحريف؟! كيف و قد نقل السيوطى فى كتاب الاتقان عن الخليفة الثانى و هو اعلم علمائهم أن القرآن كان الف الف و سبع و عشرون الف حرف، مع أن الموجود فى القرآن اليوم ثلث ذلک. و نقل

[1]- الحشوية العاملون بكل الروايات ولو كانت ضعاف

عن عبدالله بن عمر أنه كان يقول: لا يقولن أحدكم قد اخذت القرآن كله، و ما يدريه ما كله و قد ذهب منه قرآن كثير.

و ينقل السيوطى عن عائشة: أن سورة العذاب كانت تقرأ فى زمان النبى مأتى آية و قد ضاع اكثرها فى زمان عثمان.

هذا هو الموجود فى كتاب الاتقان الجزء الثانى صفحة ۴۰.

و ينقل عن عائشة أنها كانت تقول: القرآن كان مشتملا على هذه الآية «عشر رضعات معلومات يحرّمن» و قد كان يقرأ الى آخر حياة النبى. يعنى عثمان هو الذى حرّف القرآن و حذف هذه الآية.

هذا كلام هم ينقلونه عن عائشة التى هى عندهم ام المؤمنين.

و نقل فى باب الحدود من صحيح البخارى و مسلم و سنن الترمذى و ابى داود و ابن ماجة عن الخليفة الثانى أنه كان يقول: ان الله بعث محمدا صلى الله عليه و آله بالحق و انزل عليه الكتاب فكان فيما انزل الله آية الرجم فقرأناها و رأيناها و لكن نسخت هذه الآية.

كما ينقل عنه أنه كان يقرأ: «لا ترقبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترقبوا عن آبائكم».

فتتهموننا بأننا قائلون بالتحريف و ليس عالم بينكم يقول بالتحريف؟! شنو هذا الكذب الصريح؟!

ليس مهما. المهم أن نلحظ الروايات التى جمعها المحدث النورى فى كتابه. و هذه الروايات تنقسم الى عدة طوائف نتكلم عنها فى الليلة القادمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.